الشعر والسياسة

ما يهمنا، أن الشعر، عاد بسبب ذلك للخضوع مرةً أخرى. المؤسسات فرضت رؤيتها على الشعراء وتكفّلت بامتيازهم اليومي في العيش والحضور الاجتماعي. لقد انتقل الشعر من نفوذ مؤسسة إلى نفوذ أخرى. لكن هذا لا ينفي أبداً أننا امام شعر سياسي إنساني عميق ومحترم وأننا امام فن شعري متقدم.

ياسين طه حافظ

(٥-٥)

ما دمنا نتحدث في الشعر، فلا بد من التأكيد على أن المنجز الأدبي السياسي الكبير لا يتم عبر الغنائيات بسيطة التركيب، تهتم عادةً بالملحوظات الحسية أو الانتباهات الجمالية وبعض من التأملات في المشهد. الظاهرة السياسية هنا لا تجد لها حيزاً إلا لتكون استياءً او إدانة محدودة المساحة. بناء الغنائية ومساحتها لا يساعدان على غير ذلك.
بينهما العمل الشعري الكبير يتضمن تاريخاً وفلسفة واشارات لاحداث وطبائع ازمنة، كما يشتمل على الغنائيات التي تخدم جو القصيدة وتشكل بعضا من نسيجها ومساحتها مهيأة لاستقبال الكثير من الرؤى والتقاطعات.
الأستاذ لفنجستون لويس، أستاذ الانجليزية في هارفارد والمتخصص بتشوسر وكولريدج نفسه يحدثنا في كتابه "الطريق إلى زانادو" أن قصيدة "البحار القديم" تضم جيشاً من الطرائف التصورية ومن كل الازمان. كما ان الثقافة الشفاهية الساذجة والرؤى الوهمية والبربرية، غير المترابطة، التي حدثت في جاهلية العالم وغموضه تجمعت في الأوديسة. وحين أضيفت لها معارف من القرون الوسطى وصهرتها عزيمة جبارة، تكونت لنا من ذلك "الكوميديا الإلهية". فمن يقرأ الكوميديا يجد كتلاً مرعبة من الحقائق الخام. ويقول: إن في شعر تشوسر قطعاً من قصص الاسفار في الشرق الغامض ومن العلاج النفسي البدائي ويجد كيمياء قديمة وتنجيماً وطباً وضرباً من الرمل والفراسة كل هذه خرجت من قلم الشاعر وبشكل لائق، يختلف عن ذلك الذي كان للأوديسة او للكوميديا. إنها الثقافة في الفنون والتجارب الإنسانية، الموروثة والمعاصرة، اشتغلت معاً في هذه الأعمال. وكلها تضمنت ضمن ما تضمنته رؤى ومواقف سياسية.
(يمكن الإفادة هنا من كتاب "الرؤيا السياسة في الكوميديا الإلهية" للأستاذ جون فيرانت The Political Vision of the Divine Comedy by John Ferrante والذي تضمن جملة فصول منها : النظرية السياسية والخلاف والمدينة والإمبراطورية في الكوميديا والكنيسة والدولة والمجتمع الفاسد في الجحيم والمجتمع المثالي في الفردوس...)
أردت أن أقول إن المادة السياسية تتطلب فناً عالياً لتتحول إبداعا شعرياً أو روائياً أما النكات والطرائف والشتائم الشعرية فلن ترقى يوماً إلى أن تكون شعراً محترماً أو فناً يحترمه التاريخ.
هنالك مسألة، أرى أهميتها واضحة في طبيعة القصيدة السياسية ومستواها الفني. تلك هي المتعلقة بالشاعر والجمهور. فالجو المنبري ترك اثراً سيئاً في العملية الفنية. الجمهور الكبير ومتنوع المستويات تثيره انتباهه جنسية او قدح للدولة أو ولاء ديني...الخ فيعمد الشاعر لكتابة ما يثير، لا إلى ما يدهش ويُعجب. هو يفكر في رد الفعل، في هذه الحركة بالأيدي التي تسمى تصفيقاً. هنا يخسر الفن وهنا أيضاً يبدأ السقوط الذي لا يدركه الشاعر إلا بعد سنين حين يرى هزال ما كتب ولا قيمته. هذا يندر أن يحصل في القاعات الراقية او في الصالونات الأدبية. قصائد الفن والأفكار هناك هي التي تحظى بالاحترام وهي التي يسمح لها بالحضور. "روبرت فروست" مُنِحَ عشر دقائق ليقرأ قصيدة في عيد الشكر، أو الاستقلال الأميركي. قرأ قصيدة في جمال الطبيعة الأميركية، وهي من أجوائه الشعرية المعروفة. ومرة دُعي الشاعر و. هـ. اودن وهو شاعر ذو قدرة عجيبة على تحويل أي مادة إلى شعر، فقرأ واحدةً من قصائده السياسية المشاكسة آنذاك، جاء فيها:

آه انجلنره التي
ليس فيك شيء واحد على ما يرام.

يُقال حين شكرت الملكة المحتفلين، قالت، بدبلوماسية ملكية عالية: شكراً للسيد أودن الذي تمنى أن يكون كل شيء في بريطانيا على ما يرام!
يوصلني هذا إلى خاتمة الحديث إذ يقول الأستاذ "تيري ايجلتون" وهو ناقد ذو أفكار ماركسية: يقول؛ هل الحديث في الأدب والسياسة حديث بحدود مسألة جوزف كوتراد والامبريالية او اورويل والطبقة العاملة؟ أظننا مضطرين للخروج من الدائرة وان يكون سؤالنا: ما هي الأهمية السياسية للأدب؟ "وهنا نعطي الدور للأدب لا للسياسة والمبادرة للنص لا للفكر السياسي، فنكسب بذلك روح العصر وتطوره الثقافي ونحن نواجه أخطاء الدولة وعيوبها السياسية:
يقول جسنبرج في قصيدته "أمريكا"

الرياح الموسمية تصل
والنوافذ تبكي
وأنا أريد الوصول إلى البنتاغون
بسيارة شحن.
....
أمريكا تريدينني أن أكون قديساً،
قبل هذا، متى ترسلين بيضك للهند؟

أمريكا زهرات الخوخ تتساقط
لم اقرأ الصحف منذ شهر،
كل يوم يُحاكَمُ احد بتهمة قتل...

كما ترون، لا شعارات سياسية ولكن طاقة شعرية تهاجم الرداءات في الكون.
للشاعر ثيدهيوز قصيدة بعنوان "الصقر جاثماً" A Hawk Roosting
في هذه القصيدة يتحدث الشاعر عن الفاشست وما هم مسكونون به من شر ونزعة للقتل القصيدة فنياً تعتمد منلوجاً داخلياً لصقر جالس او جاثم في أعلى الغابة. هيوز وضع في الصقر، وفي ذهنه وهو يكتب، شخصية فاتكة ومتسلطة مثل هتلر. مع ذلك ظلت القصيدة عملاً فنياً مكتملاً وان تبنت فكراً سياسياً.
وهي كما ترون قصيدة ذات موضوع سياسي وموقف فكري لكن القدرة الفنية صنعت قصيدة مستقلة بموضوعها وفنها وظلت جمالية. إليكم القصيدة مثالاً:

اجلس في أعلى الغابة، عيناي مطْبَقتان
لا أحلام زائفة بين رأسي المعقوف
وقدمي المعقوفين،
وفي نومي أتدرب على فَتكاتَ حاسمة وأكلْ.

يالطمأنينة الأشجار العالية!
رقة الهواء هنا وأشعة الشمس لفائدتي
والأرض ترفع وجهها حرساً أفتِّشه.

قدماي مقفلتان على لحاء خشن
الطبيعة كلها عملت لتنجز خلقَ قدمي
وكل ريشة فيَّ،
وبهذه القدم الآن اقبض على الخَلْق
أو أطير عالياً وادورُه بهدوء
واقتله حيث أشاء فالكون ملكي
لا نقاش بين بدني واخلاقي
حول قطع الرؤوس أو توزيع حصص الموت .
والطريق الوحيد لطيراني ، طريق مباشر .
خلال عظام الأحياء.
لا نقاشات حول حقي (بذلك) .

الشمس ورائي
لم يتغير شيء منذ ابتدأت .
عيني لم تسمح بتغيير
وسأبقي الأشياء على هذي الحال .

ختاماً، حين لا يمتلك الشاعر المهارة الفنية، نقرأ منه سياسة وأفكاراً ولا نقرأ إبداعاً شعرياً وفي هذا يرتكب خطيئتين. فلا هو قدم مقالاً سياسياً جاداً ولا قدم عملاً إبداعياً جيداً. هو كتب أفكاراً ومواقف سياسية بنظام شعري وهذا في رأيي أما شعر متخلف أو كتابة سياسية متخلفة. في الحالين هو لم يقدم عملاً متقناً. أما الحجة في التعليم فهي حجة ساقطة لا تسعف. غرامشي يقول "الأدب التعليمي لا يعلم شيئاً"!

منطقة محررة

نجم والي

المثقفون العرب وكل هذا الكلام الرنّان

هناك نكتة تناقلناها في بداية الثمانينات، في أواسط حركة السلام الألمانية، وفي أيام تصاعد نشاط حركة "نقابة تضامن" البولندية: بعد يأس الجنرال الشيوعي ياروزيلسكي من قمع نشاط "حركة تضامن" السلمي، ذهب إلى موسكو لزيارة ضريح لينين واستشارته بما يقترحه عليه. "رفيق لينين، ما هي الوسيلة الأمثل للرد على تضامن ورئيسها ليش فاليسا؟"، يتفاجأ الجنرال بجواب لينين وهو يقول: عليك تسليح الطبقة العاملة!؟ . تلك النكتة هي سخرية مرة من المقولات الماركسية العتيقة، الداعية لتسليح "الجماهير"، والعمال بالذات، والمفارقة في حالة بولندا تكمن، في أن المتمرد الأعزل ضد الدولة، ليس العدو التقليدي الذي تتحدث عنه الماركسية، البورجوازية، إنما هم العمال. كلما قرأت مقالاً لأحد كتاب العربية "المثقفين"، يتحدث عن "الجماهير" و"حرب التحرير" تذكرت تلك الكوميديا السوداء.
لا أتذكر أين قرأت ذات مرة، إننا عندما نفتقد مثقفاً ما، تضيع إحدى نقاط الارتكاز، المجتمع يظل دون فكرته، يفتقد نشاطه. التفكير هو دليل على الرقي، والأفكار هي علامات هذا الرقي، على افتراض ما تحويه من حكمة؛ ليست هناك فكرة تظل على حالها الأول، عندما توضع في سياق جدلي مع فكرة أخرى لأن تطور أية فكرة يولد من جدلها. لقد حدث ذلك مع المثقفين الكبار الذين كانوا أعمدة جيلنا، ولحسن الحظ رغم انحلال وتفسخ وانحطاط ظاهرة التفكير في البلدان الناطقة بالعربية، إلا أن التفكير ولو بنسبة قليلة ما زال له بعض التأثير، شكراً لأقلية من المثقفين رغم قلتها إلا أنها تظل بما تكتبه من حكمة، بعيدة عن الإنشاء والصياح مع القطيع، المثال الجيد، للجيل الجديد من المثقفين، لكل مثقف يبحث عن صوته الخاص، بعيداً عن اليأس، وبعيداً عن ثقافة سائدة تجتر نفسها منذ سنوات طويلة، تكرر الكليشهات ذاتها، بكل ما تحويه من كلمات غثة وكذب وخداع، وخطاب يثير الغثيان.
أكتب ذلك، وأعرف مرارة الوحدة والعزلة التي نشعر بها، عندما نحاط بأطنان الخطابات المملة التي تقتلنا بكل ما تكرره من كلمات شريرة. وهذا ما يحدث لنا، نحن الواقفين أمام المرآة، نبحث عن وجه حكيم، شبيه بأولئك البشر العظام: بيرتراند راسل، مدام كوري، البير كامو، سيمون دوبوفوار، جان بول سارتر، حنه آرندت، طه حسين وأمثالهم، فنتساءل ببراءة: لماذا لم تنجب الثقافة المكتوبة بالعربية مثقفين ومثقفات يؤسسون لثقافة وفلسفة وفكر لا يتغذى من الشر والعدوان، ويكتبون أدباً لا يسري فيه دم الحمية الوطنية والعرقية؟ لماذا يردد المثقفون عندنا النشيد ذاته؟ هل يكتبون بقلم واحد، بحبر واحد؟ هل يفكرون برأس واحد؟ هل هي علاقتهم بسلطات بلدانهم هي التي تقرر نوع الكلمات واتجاهها في خطاباتهم؟ هل إصرارهم على مصّ العظمة - ولا يهم أن تكون عظمة سلطان يحكم بقوانين القرون الوسطى، أو عظمة ديكتاتوري "علماني" ومستبد - هو التفسير المناسب لدونيتهم وانحطاط أفكارهم؟ هل هي غواية السلطة التي تجعل خطابهم يدعو للحرب والقتل والشر، لكنه لا يتحدث بكلمة واحدة ضد السلطات التي يعيشون من نعيمها، حيث يتنقلون من مهرجان إلى آخر؟ لماذا يتحدثون في مهرجاناتهم الشعرية عن "العدو"، و"الإمبريالية والصهيونية"، ولا يتحدثون مثلاً عن اغتصاب النساء والعبودية الجديدة والبطالة والجوع وسجناء حرية الرأي في بلدانهم ذاتها؟ لماذا ينطقون ويكررون الجمل ذاتها، من غير المهم أية مناسبة تكون؟ أقول ذلك، مستثنياً عدداً قليلاً وأنا أعني الأغلبية التي تكتب وتغني وتمارس الخديعة "الثقافية" كل يوم.
أمر يثير العجب حقاً، أن يكون المثقفون عندنا دعاة الحرب، وليس الناس "العاديين". تكفي رؤية هذا الكم الغزير من الهزر اليومي، الذي يدور مثل علكة سمجة على الصفحات الثقافية للجرائد المكتوبة بالعربية، الذي يدعو من حين إلى آخر للقتال والحرب، ويعد بتحرير كامل فلسطين، يتغنى بموت الأطفال "الأبطال"، وبجمال كل أم "لا تلبس الحداد" على فقيدها! فكما جرت العادة، تبدأ الصحف باستفتاء المثقفين بهذه المناسبة أو تلك، لكي يقولوا كلمتهم. وإذا كان المثقفون في العالم يعبرون بحريتهم بحدث ساخن تعيشه مجتمعاتهم، أو إذا كان القارئ يكتشف عند كل مثقف صوته الفردي وتحليله الخاص به، فإن مأساة القارئ في العربية، تصبح مضاعفة، إذ من النادر أن يجد اختلافاً بين خطاب السلطة وخطاب المثقفين عندنا، بل أنه يجد حتى خطابات "المثقفين" هؤلاء متشابهة، كأنها نسخة عن بعضها، بغض النظر عن طبيعة الحدث أو مضمون الموضوع! أنها الكلمات والاصطلاحات ذاتها، لا يهم السنة التي حدث الحدث فيها مثلما لا يهم هوية الكاتب أو سنّه!

ردود افعال متباينة من مثقفين مصريين بعد فوز مرسي بالرئاسة

القاهرة /رويترز

تفاوتت ردود أفعال مثقفين وفنانين مصريين بعد فوز محمد مرسي مرشح حزب الحرية والعدالة الذراع السياسية لجماعة الإخوان المسلمين برئاسة البلاد بعد ساعات من الترقب قبل إعلان النتيجة.

واقترح الممثل خالد أبو النجا في تغريدة بصفحته على موقع التواصل الاجتماعي تويتر إعطاء "مرسي فرصة.. ثورتنا مستمرة لإسقاط حكم العسكر ومنع حكم المرشد (الاعلى لجماعة الاخوان) في مصر.. مبروك" في إشارة إلى تخوف بعض دعاة الدولة المدنية من توجه ديني للدولة في المرحلة القادمة.
وعبر الكاتب علاء الأسواني عن أمله في "أن يفي (مرسي) بوعوده جميعا." وقال "استطاعت إرادة الشعب أن تسقط النظام القديم مرة أخرى. تحيا الثورة". واضاف أن الفرصة جاءت لجماعة الإخوان "ليكفروا عن أخطائهم في حق الثورة... أيها الإخوان أتمنى ألا تخذلونا مرة أخرى" ربما في إشارة إلى فترة كانوا خلالها على وفاق مع المجلس الأعلى للقوات المسلحة الذي يدير البلاد منذ خلع مبارك.
وعلى موقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك) كتب الناقد بهاء مزيد تحيته للرئيس المنتخب ولمصر ثم وصف مرسي بالرجل الخلوق وتوجه إليه قائلا "فلنختلف مع الرئيس. مع الإخوان. مع (حزب) الحرية والعدالة. لكن يقيني أن مصر لن يحكمها المرشد ولا الإخوان. سيحكمها نبض شوارعها وتطلعات ميادينها."
أما التشكيلي رضا عبد الرحمن فكتب تغريدة متشائمة من القادم يقول نصها "اليوم سقطت الدولة المدنية وعلت دولة المرشد.. يسقط يسقط حكم المرشد" في إشارة الى محمد بديع المرشد العام للجماعة الإخوان.
وشاركه الخوف الشاعر إبراهيم المصري الذي قال إن مصر نهضت بعد حرب ١٩٦٧ التي استولت فيها إسرائيل على شبه جزيرة سيناء أما اليوم فمصر "مأزومة مخنوقة. للمرة الأولى أشعر اليوم بأن مصر بلد لا يمكن إصلاحه.. ولا أمل في إصلاحه."
وكتبت الشاعرة فاطمة قنديل انها أبطلت صوتها في الانتخابات "لا شفيق و لا مرسي" لكنها توجهت إلى ناخبي مرسي بالتهنئة وقالت "أتوجه إليه بمطلب أول.. سيادة رئيس جمهورية مصر العربية أنا لن أقبل مجرد إلغاء بيعتك لمرشدك محمد بديع وإنما أطالبك بحل جماعة الإخوان المسلمين عليك الآن أن تحدد ولاءاتك بوضوح وأن تثبت.. أنك تعرف قيمة مصر ولن تعتبرها ولاية من ولايات مشروع الخلافة الإسلامية"

افتتاح المركز الثقافي العراقي في لندن

مثقفون: نتمنى أن يكون خارج هيمنة المؤسسة السياسية

لندن/ د.سوزان الخالدي

لم يكن افتتاح المركز الثقافي العراقي في لندن بالحدث العابر وذلك لأسباب عدة منها أهمية لندن كعاصمة حاضنة لثقافات العالم وكعاصمة ثقافية أولى مع باريس ونيويورك ، وأيضا لان اغلب واهم المثقفين والمبدعين العراقيين يقيمون فيها بسبب هجرتهم التي بدأت منذ منتصف العشرينيات الى يومنا هذا حتى وصل عدد المثقفين و الأكاديميين الكبار العراقيين فيها الى أكثر من أربعة آلاف وجاليتها العراقية الى أكثر من ٣٠٠ ألف، ناهيك عن مدن بريطانيا الأخرى.
ولكن العنصر الأهم هو افتتاح مركز ثقافي عراقي صرف مغاير لما كان عليه المركز الثقافي العراقي أيام الدكتاتورية التي استغلت ذلك الصرح الثقافي أبشع استغلال بحق الثقافة العراقية وأفضل استغلال من وجهة نظر الدكتاتورية الفاشية، مما ولد صورا مغايرة عن الواقع والحقيقة التي كانت تعيشها الثقافة العراقية زمن الدكتاتورية، صورة مشوهة زُرعت بأذهان البريطانيين والجالية العربية في لندن لن يكون من اليسير على إدارة المركز الجديد تغييرها بسهولة.
الشاعر والدكتور صلاح نيازي ألقى كلمة المثقف، التي أشار فيها الى دور المثقف العراقي في الحياة البريطانية، وولوجه في الحياة الثقافية معتمدا على إبداعه في ظل عدم توفر الداعم الحكومي له منذ أكثر من ٤٠ سنة ، و اكد على أهمية فصل الثقافة عن السلطة السياسية.
كما أشار الشاعر نيازي إلى أحد التصريحات السابقة لوزير الثقافة د. سعدون الدليمي حين قال إن وزارة الثقافة أهم من وزارة الدفاع ، وهو الوزير الذي تحمل مسؤولية الوزارتين، لذا وصف نيازي هذا التصريح بالمنحى الخطير الايجابي وأننا على أعتاب تحول ثقافي عراقي جديد وسياسة بنائية حكومية إذا اعتبرت وزارة الدفاع اسماً على مسمى أي دفاعية وليس لصناعة الحروب الداخلية والخارجية وتعتبر مهمة وزارة الثقافة هي بناء الإنسان الذي حطمته تلك الحروب .
برنامج الافتتاح الثقافي كان إشارة مهمة إلى انفتاح المركز المستقبلي على كل أنواع الفنون التي هي صلب اهتمامه، فقد قرأ الشاعر البريطاني ستيفن وات قراءات شعرية لبعض من أعماله وهو واحد أهم شعراء بريطانيا اليوم، كما كانت هنالك قراءة لمقطع من ملحمة كلكامش باللغة العربية للفنانة الكبيرة فوزية الشندي، وقراءات لمقاطع أخرى من نفس الملحمة باللغة الانجليزية بصوت الشاعرة البريطانية انا كوبر، وقصائد ترحيبية باللغتين الانجليزية والعربية بأصوات أطفال وعرض لوحات (سلايدات) الأكثر من ٣٠ فنانا عراقيا من كل الأجيال ابتداءً من جيل الرواد.
وفي ختامها مسك كما يقال ، فقد قدم عازف العود احمد مختار أعمالا تراثية، منفرداً على العود ثم رافقته على الأكورديون البريطانية كارول ايسهاك ببعض من مؤلفاته الموسيقية ثم انضم لهما عازف الجيتار والعود الايطالي فرنشيكو انزولي ، ليعزفوا ثلاثي (تريو)، أعمال تراثية عراقية بتوزيع هارموني، أثارت إعجاب الحضور البريطاني والعراقي ما دعا الشاعر كريم عبد إلى التعليق إعجابا وسط الحضور ليثني على هذا الجهد الموسيقي الذي يسعى لإحياء التراث الموسيقى ويظهر بصيغة متطورة يعتمدها الفنان في منطلقه إلى العالمية. واستهل مختار أعماله الموسيقية المعدة والمؤلفة قائلا: سأقدم رؤيتي لبعض من التراث العراقي أكثر مما قدم احمد مختار ومؤلفاته، لذا فكانت الأعمال الموسيقية على التوالي - مقام بنجكاه وتنويعات على أغنية من التراث- جنائن معلقة – سولاف لغانم حداد من التراث - جي مالي والي من التراث- الغجر- تنويعات وتوزيع على أغنية طالة من بيت أبوها.
ومع اختتام الحفل بقيت بعض الأسئلة المطروحة ومنها، إلى أي متى سيبقى المركز الثقافي هذا بعيداً عن الأجواء السياسية العراقية الملبدة بالغيوم دوما؟ وإذا التزمت الوزارة بمنهاجها والدعوة لاستقلالية المراكز الثقافية، هل يا ترى ستلتزم الوزارة القادمة الجديد بذلك؟ خاصة وان كلمة ممثل وزير الثقافة عقيل المندلاوي، حملت خطابا ثقافيا يؤكد النأي بالمركز عن السلطة السياسية وارتباط المراكز الثقافية إدارياً فقط بوزارة الثقافة، وان المركز مفتوح للجميع بغض النظر عن انتماءاتهم، والمنتج الإبداعي والثقافي فهو المقياس.
هذه الأسئلة وأخرى تراود الكثير من المثقفين، لكن، دعونا نبدأ ببادرة حسن نية ونعطي الفرصة لهذا المركز أن يثبت وجوده، والاهم وفي ظل هذه التحديات، إذا كان هنالك من لا يستطيع أن يكون عونا لتطوير عمله فهل من الممكن أن لا يكون سببا في عرقلته لمأرب لا يخفى على الجميع .. لننتظر ونرى...